حفيظة اسرائيل فضلاً عن حفيظة الانظمة العربية المحافظة. ومع تمسك عبد الناصر بنهجه الوطني التقدمي في السياستين الداخلية والخارجية، كان نظامه بحاجة لتهدئة جبهات الخصومة التي يخوضها، فكان حريصاً على تثبيت الاتفاق المعقود مع السعودية بشأن اليمن، وعلى تنفيذ ميثاق التضامن الجماعي العربي الذي وضعه مؤتمر القمة الثالث، حتى يتفرغ لشؤونه الداخلية ولمواجهة الضغوط الغربية والاسرائيلية التي تزايدت على مصر. في هذا الجو، ولأن فلسطين هي العنوان الرسمي للتضامن العربي، وصف عبد الناصر المؤتمر الثالث بأنه «انعقد من اجل فلسطين وكان الهدف منه ان تكون هناك وحدة عمل من اجل فلسطين»[٧٣].

قال عبد الناصر «حددنا هدفين: هدف عاجل وهو ان نستكمل القوى الدفاعية العربية؛ وهدف قومي وهو القضاء على اسرائيل واستعادة حقوق شعب فلسطين»[٧٤]. وكانت تلك هي المرة الاولى التي يستخدم فيها عبد الناصر عبارة «القضاء على اسرائيل» في احاديثه العلنية (وان كانت ستتكرر، بعد ذلك، من وقت لآخر، مع انفجار الخلافات العربية من جديد، ومع ارتفاع حدة المزايدة التي تتولد عن حدة الخلافات). وقال عبد الناصر، ايضاً، اننا «في مؤتمر القمة الاخير، استطعنا ان نجمع ٢٠٠ مليون جنيه، ايضاً، لتقوية سوريا والاردن ولبنان، وبهذا نستطيع ان ننتقل من المرحلة الدفاعية الى المرحلة الهجومية»[٧٥]. ومن الواضح، الآن، ان عبد الناصر كان في هذا متفائلاً باكثر مما يسمح به الواقع، لكن تفاؤله لم يكن كله، في حينه، بغير اساس. ففي ذلك الوقت، كانت مصر قد فرغت من اتمام المرحلة الاولى، والأهم، من مراحل تنفيذ مشروع بناء السد العالي، وتوفرت لها بهذا المشروع وبمشاريع اخرى كبيرة، قوة اقتصادية لا بأس بها. وكان جيش مصر، مثله في هذا مثل جيش سوريا، يتلقى الاسلحة بغير شروط من الاتحاد السوفياتي. كما كان توقيع الاتفاق مع السعودية بشأن اليمن يبشر بأن الجيش المصري سيفرغ من المهمة العسكرية التي تولاها هناك، وبأن الابواب قد انفتحت امام تضامن عربي يقوم، كما يفهمه عبد الناصر على هامش مشترك هو مواجهة اسرائيل. وكانت منظمة التحرير الفلسطينية قد قامت واستعاد الشعب الفلسطيني بعض عافيته. وبالاجمال، كان عبد الناصر يأمل في ان يتمكن من التحرر من ضغوط اسرائيل ومن استخدام الغرب لها كأداة للضغط على نظامه وعلى كل فرقاء الحركة الوطنية التقدمية العربية التي تشكل الحليف الطبيعي لهذا النظام.

انفراط التضامن والعودة الى المحاور

بعد اشهر من القمة الثالثة، اي في ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٦٦، افضت خلافات حزب البعث الحاكم في سوريا الى الاطاحة بعهد الفريق امين الحافظ وحكومته التي يرأسها السيد صلاح البيطار وبالقيادة القومية للحزب التي كانت تسند هذا العهد. وتولى السلطة الحزبية والحكومية في سوريا الفريق البعثي الذي كان خصومه يسمونه القطريين، وانصاره يسمونه يسار البعث، واعلن العهد البعثي الجديد برامج سياسية واقتصادية اكثر راديكالية من البرامج المعلنة قبله. ورفع هذا العهد شعار وحدة القوى التقدمية العربية، وذلك، في مقابل شعار التضامن العربي الشامل المجسد في مؤتمرات القمة، وتوجه الى مصر ورئيسها للتعاون من اجل تجسيد الشعار الجديد. وكان هذا العهد، الى هذا، متشدداً ازاء اسرائيل.